بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد

فقد نقل أخونا الفاضل الأستاذ إياد الغوج إلينا سؤالاً أُورِدُ صورته ثم أجيبُ عنه بما يفتح الله تعالى عليَّ، بانيا جوابي على أصول أهل السنة والحقِّ، فالحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَعَ، وهذه صورة السؤال:

سيدي الشيخ سعيد حفظه الله ورعاه

هذا سؤال ذكره لي مولانا الشيخ نوح، واقترحت أن نعرضه عليكم سيدي لتتفضلوا بإجابته ببعض استفاضة، وهو سؤال ورد من امرأة كانت ملتزمةً دينياً، ثم مرضت مرضاً شديداً أضعفها للغاية، وخفّ بعدها التزامها الديني، بسبب الوسوسة الآتية:

المقدمات:

- الله قدير، والله عادلٌ ومحسن.
- العادل والمحسن لا يُؤلم البريء.
- نرى في العالم بريئين في ألم ومعاناة.

هل يعني هذا أنّ الله تعالى ليس بعادل أو ليس بمحسن؟

هذا هو السؤال، ونرجو سيدي أن تتفضوا بجواب شافٍ، مع التفضل بتوثيق النقول والحجج من مصادرها.

وجزاكم الله خيراً

محبكم /إياد

أقول وبالله تعالى التوفيق:

إن الله تعالى قد تفضل علينا أن أوجدنا لا من شيء، وهو إن شاء يُعْدِمُنا ولا يترتب عليه شيء، وقد جعل لنا هذه الدار دار ابتلاء وامتحان، من أحسن فله الثواب، ومن أساء فعليه العقاب، جنبنا الله إياه، ووكل ما في هذا العالم فهو من فعل الله تعالى، لا موجد لشيء من أجزاء هذا العالم إلا الله تعالى، والله جلَّ شأنه لا يفعل شيئا بسبق وجوب عليه، ولا يفعله مدفوعا بالوصول إلى غاية وغرض للفعل،

فلا تكون الغاية علة لفعل الله تعالى ودافعا يدفع الله تعالى إلى شيء من الأفعال ولا إلى إيجاد شيء من المخلوقات.

وليعلم المؤمن بالله تعالى أنه جلّ شأنه إذا أثاب فإنه يثيب بفضله، فلا شيء يوجب عليه جلّ شأنه أن يثيب، وإذا عذب فإنه يعذب بعدله، ولا يتصور الظلم في حق الله تعالى أبداً، لأن الظلم تجاوز الحد، ولا يوجد حدٌّ محدود لله تعالى، ولا أحد يحجر عليه في أفعاله، فيمنعه من فعل شيء أو يدفعه إلى فعل شيء، فهو الفاعل المختار، لا إله غيره.

والسؤال المذكور يدور حول مفهوم العدل، والفعل الإلهي، والظلم، والألم. فقد وقعت الأخت الفاضلة المستشكلة في مغالطات تدور حول مفاهيم تلك المصطلحات، والتلازمات الحاصلة بينها، فنشأ الوهم عندها فيما يأتي: ما هو مفهوم العدل الإلهي؟ وهل يستلزم وجود الألم عدمَ العدل؟ وهل يجب على الإله القادر أن لا يخلق الألم في نفس إنسان إلا إذا كان خاطئا؟

وسوف نوضح كل أمر من هذه الأمور بصورة موجزة بإذنه تعالى كما يأتي:

أولا: معنى أنّ الله تعالى هو العدل

العدل لغة مصدر أقيم مقام الاسم، فالعدل أقيم مقام العادل، كالرب مقام الرابِّ، والبرّ مقامَ البارّ، والرضا مقام الراضي، ومعنى عدلت الشيء أعدله عدلاً إذا قومته، ومنه الاعتدال في الأمور، وهو الاستقامة فيها[١].

ويدور معنى العدل على أمرين اثنين:

الأول: من تنزه عن النقائص الحاصلة في طرفي الإفراط والتفريط، وجانبي التنزيه والتعطيل. وقال الإمام أبو القاسم القشيري: "والعدل من صفات ذاته بمعنى أن له أن يفعل في ملكه ما يريد، وجميع الخلائق بعض ملكه، فيفعل فيهم ما يريد[٢]." اهـ

والثاني: أنه لا يظلم ولا يجور. وذكر الإمام الرازي أن حاصل قول مشايخنا في معنى العدل أنه: "الذي له أن يفعل ما يشاء، وحكمه ماضٍ في العبيد.[٣]" اهـ

وقد جمع الشيخ زروق بين هذين المعنيين بعبارة لطيفة رائقة، فقال: "العدل هو البريء من الظلم في أحكامه، المنزه عن الجور في أفعاله، والعدل ما للمالك أن يفعله من غير منازع[٤]." اهـ

فليس معنى العدل أنه من يفعل الواجب عليه، ولكن العدل من لا يفعل إلا عالما بفعله وأن لله تعالى أن يفعل جميع ما فعله، وليس لأحد أن يعترض عليه، فإنه لا يسأل عما يفعل.

واعلم أن وراء هذا اللفظ معاني عميقة دقيقة، فإنَّ من له أن يفعل ما يشاء، فهو أكمل الأشياء على الإطلاق، في ذاته وفي صفاته، لأنه لو لم يكن كذلك لم يمكنه أن يفعل ما يشاء كما يشاء، وذلك لأن كل فاعل غير كامل في ذاته وصفاته فإن

---

(١) انظر شرح أسماء الله الحسنى للإمام الرازي، ص٢٥٢.

(٢) التحبير في التذكير، ص٦٠.

(٣) شرح الأسماء الحسنى، للإمام الرازي، ص٢٥٢.

(٤) شرح أسماء الله الحسنى، للشيخ زروق، ص٦٠.

أفعاله تكمل ما هو ناقص له، وما هو طالب إياه، وكذلك الإنسان، يفعل أفعالا يريد بها تكميل ما ينقصه من كمالات إما محققة أو متوهمة، ولو كان له أن يفعل ما يشاء كما يشاء، لكان كاملا في ذاته غير طالب لتكميلها.

فمن كان كاملا في الذات والصفات، فإنه عدل لا يظلم أحدا شيئا، لأنه لا يجب عليه شيء أصلاً.

وقد يظنُّ بعض الناس أن العدل هو من يجب عليه تكميل غيره وتجنيب الموجودات كل ألم ونقص، ولو كان الامر كذلك لما كان عادلا عدلاً، لأن وجوب شيء عليه يناقض كونه عدلاً في ذاته، فلو كان عادلا في ذاته وصفاته لما وجب عليه شيء من الأشياء.

وإنما تجب الأفعال وتحرم على غير الكمَّل من المخلوقات، لتكميل أنفسهم بفعل ما هو واجب عليهم،وإنما يكون الكمال بفعل الله تعالى لا بسبق إيجاب عليه ولا إلزام.

وقد قال الإمام العارف أبو القاسم القشيري في "التحبير في التذكير":"فمن عرف أنه العدل لم يستقبح بقلبه موجودا، ولم يستثقل منه حكما، بل يستقبل بالرضا، ويصبر تحت حكم البلاء بغير شكوى لعلمه أنه عدل، قال ابو عثمان المغربي: (قلوب العارفين فارغة لمفاجآت القدر)[1]."اهـ

فحظ المكلف من اسم الله تعالى العدل أن يصبر على تكاليفه، وأن يعلم أن ما أنزله الله تعالى به ليس لمجرد التأليم بل هو امتحان واختبار، فإن أفلح في الصبر واستدام على الطاعة، فإنه من الفائزين، وإلا فقد خاب وخسر في يوم الدين، فلا يحسن بالمؤمن العارف بربه أن يظن أن ما يقع عليه من آلام أو مصائب بمجرد تعذيب، وأن هذا التعذيب مخالف للعدل! فإنه إن فعل ذلك وقع في تنقيص كمالات الله تعالى من حيث لا يحتسب ولا يعلم، فإنَّ من اعترضوا على الله تعالى

---

(١) التحبير في التذكير، ص٦٠.

في أفعاله، وأوجبوا عليه أموراً، وقالوا له: يمتنع أن تفعل! وعليك أن تترك! فإنهم لم يعرفوا إلههم حقَّ المعرفة، وسوف يؤدي ذلك بهم إن استقر في قلوبهم إلى إنكار كمالات الله تعالى.

بل على الإنسان أن يعلم أن هذه الدار دار فتنة وامتحان، وليس المراد من الفتنة أن ينحرف الإنسان عن دينه، بل المراد بها أن يتميز المؤمن عن غير المؤمن، فينال المؤمن رضا ربِّه، ويبوء الكافر بظلمه لنفسه، فإن المتعدي لحدِّه على الحقيقه هو الذي كفر من الناس وظلَمَ نفسه بمعصيته.

قال الشيخ العارف المشهور بزروق:"والتقرب بهذا الاسم

تعلقاً: أن تخاف سطوة عدله، وترجوَ رِقَّةَ فَضْلِهِ، ولا تأمن من مكره.

ومن جهة التخَلُّق: أن تكون عدلا في أحكامك، عدلا في أفعالك، عدلا في أوصافك لا تظلم أحداً ولا تميل إلى طرف إفراطٍ ولا تفريط في أمرك كله[1]."اهـ

وبذلك يكون معنى هذا الوصف الشريف قد اتضح، وانجلى ما يدل عليه من معانٍ عالية ودقائق توحيدية. وهذا يؤهلنا –بفضل الله تعالى- للدخول في تفصيل جواب السؤال الثاني.

---

(١) انظر "شرح أسماء الله الحسنى وفوائدها، وخصائصها"، لأبي العباس أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي المعروف بزروق.ص٦٠. طبعة محمد ركابي الرشيدي.

ثانياً: هل يستلزم وجود الألم عدمَ العدل؟

هل هناك علاقة بين وجود الألم والظلم؟ يعني هل كلما وجد الألم في الإنسان الذي لم يعصِ يلزم نسبة الظلم لله تعالى؟

إن الذي يقول بذلك يعتقد في قرارة نفسه بالأمر الآتي: كل من لم يعص الله تعالى فلا يصحُّ أن يتألم في هذه الحياة الدنيا...

ولو تأملنا في هذه القضية لوجدناها باطلة بأوضح برهان، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم قد تألموا وقد آذاهم أقوامهم، ولم يدلَّ ذلك مطلقا على أنهم كانوا يعصون الله تعالى، ولم نرهم يعترضون على الله تعالى فيقولوا له: يا رب لم تسمح بأن نُؤذى ونحن لم نعصك قطُّ! كلا لا يجوز أن ينسب ذلك إليهم أحدٌ من الخلق، فبطلان التلازم بين القضيتين اللتين أشرنا إليهما واضح لا شك فيه.

والألم لا يخلقه الله تعالى في هذه الحياة الدنيا لمجرد العذاب في مقابل المعاصي، بل إنما يخلقه ابتلاء وامتحانا للإنسان، ليعرف الإنسان نفسه هل يصبر على هذا الألم ويرضى بحكم الله تعالى العدل، الذي لا يظلم أحدا شيئا، أم يعترض عليه فيقول له: إنك يا رب إن عذبتني وأنا غير عاصٍ لك، فإن هذا ظلم!!

إن من يقول بهذا القول، يتوهم قطعا أن الله تعالى لا يجوز له أن يفعل بعض الأشياء كالألم إلا في مقابل معصية للإنسان يتلبس بها، فإن لم يعصِ الإنسان، فلا يصح لله أن يخلق ذلك الألم فيه، ولا يصح لله رب العالمين أن يختبر الإنسان بهذه الطريقة ولا بغيرها مما يسبب للإنسان ألما، أو نقصا.

بل إننا نستطيع أن نقول: إن من يفكر بهذه الطريقة، فلا يبعد أن يسوقه وهمه إلى أن يقول: يا رب لم خلقتني على هذا القدر من الجمال الجسماني، وخلقت غيري على درجة أعلى وبصورة أجمل مما أنا عليه، وأنا لم أعصك قطُّ، والمسوغ لهذا الإنسان لكي يسأل مثل هذا السؤال أن ملاحظته لدرجة جماله ونزولها عن درجة جمال غيره ربما تدفعه إلى نوع من الألم النفساني، وهذا الألم قد يدفعه إلى

السؤال السابق.

وهكذا، فإننا نرى بوضوح أن من يفكر بهذه الطريقة، فإنه سوف يعترض ويستنكر أفعال الرب كلها أو جلها.

ومن الجليِّ أن هذا السبيل من الفكر متهافت لا يليق بمقام الألوهية، ولا بمقام الحاكمية اللذين يجب على المؤمن أن يعرفهما لربه.

ولذلك فإن على الإنسان أن يستحضر ما ذكرناه سابقا من أن الله تعالى فاعل مختار يفعل ما يشاء ولا موجب يوجب عليه أمرا ما.

نعم إننا نقول لهؤلاء الناس ولغيرهم: إن الله تعالى عدل لا يظلم أحدا شيئا، ويحاسب كل امرئ على مقدار النعمة التي أنعمها عليه، سواء كانت تلك النعمة جمالا أو ذكاء أو مالا أو جاها أو غيرها، فالفقير له عند الله تعالى ميزان ومقدار غير مقدار الميزان الذي يزن به درجات الغني قطعا، وللضعيف الذي لا يستطيع الجهاد ويتمنى أن يكون قادرا عليه، ميزان عند الله تعالى غير الميزان الذي توزن به أعمال القوي، بل إنه قد ورد في القرآن الكريم ما يدلُّ على أن الأنبياء والرسل لو عصوا الله تعالى فسوف يكون عذابهما أشد وأقسى من عذاب غيرهم الذين يعصون الله تعالى، ونحن نعلم أن الأنبياء والرسل لا يعصون الله تعالى، ولكن هذا من باب التقدير والفرض، ليظهر الله تعالى مقدار الحمل الذي يتحمله الأنبياء والرسل، وأن هذه الأمانة، أمانة التبليغ لا يطيقها أي أحد. وكذلك فإن قارئ القرآن يعلم أن الله تعالى توعد نساء النبي عليه الصلاة والسلام وعيدا أشد من وعيده لغيرهن لو عصين الله تعالى ، قال تعالى {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً} الأحزاب ٣٠.

وما هذا التفاوت في الموازين إلا لأن الله تعالى عدل حكيم، لا يظلم الناس شيئا، ويحاسب كل أحد —بفضله- بمقدار ما أنعم عليه من فضل وميزات.

وبهذا الكلام يعلم الجواب عن السؤال الثالث.

ولهذه المسألة تفاصيل عديدة عند أهل السنة قلّ من يلتفت إليها في هذا الزمان على أهميتها وعظيم منافعها في نفوس الناس. وما ذكرناه شذرة ندع واللهت عالى أن تكون كافية.

ونزيد هنا البحث في أمر عظيم الأهمية هو أصل تنبني عليه هذه المسألة، أشرنا إليه في ثنايا الكلام، ونخصه ههنا بالبيان.

ثالثا: لا يجب على الله تعالى شيء

لا يجب لله تعالى أيُّ فعل من الأفعال، فلا يجب على الله تعالى شيء، فلو وجب عليه شيء للزم أن يقوم به، ولو كان واجبا عليه القيام بفعل من الأفعال لكان غير مختار في هذا الفعل، وهذا يستلزم الجبر على الله تعالى، والقول بالجبر والإلزام على الله تعالى محال، ونقص لا يجوز نسبته إليه جلّ شأنه، ولذلك قال الله تعالى {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ }الأنبياء٢٣، ولذلك قال علماء أهل السنة الكرام إن فعل الله تعالى لا يجوز أن يكون لعلة ولا لغرض يدفعه إليه، لأن ذلك كله يستلزم الجبر والنقص المحال على الإله.

ومن الضروري هنا أن يتمّ التفريق بين قولنا يجب لله تعالى كذا وكذا، وقولنا لا يجب على الله تعالى كذا، فالأول جائز، والثاني باطل.

والفرق بينهما أن **الوجوب لله تعالى** معناه نسبة أمر لله تعالى، كقولنا إن الله تعالى موجود، وعالم وقادر وحيٌّ...الخ، فيجب إثبات كونه تعالى قادرا عالما حيا مريدا ...الخ، وهذا لا يستلزم النقص، بل فيه غاية الكمال لله تعالى.

وأما قولنا: **يجب على الله تعالى كذا وكذا**، فمعناه إن الله تعالى يلزمه أن يقوم بالفعل الفلاني، وليس ذلك الوجوب مترتبا على إرادته بل سابق لها، وهذا القول عين النقص كما ترى، وهو المعنى الذي رفضه أهل السنة.

ولذلك فعندما يقول القائل يجب على الله تعالى كذا، ولم لم يفعل كذا، وينبغي أن يفعل كذا، هذه الألفاظ كلها فيها إثبات الجبر لله تعالى والتحكم بإرادته والتحجير على قدرته، وكل ذلك يستلزم النقص كما لا يخفى على أحد.

فعلى الإنسان أن يعيَ معاني الألفاظ ولوازم المعاني وما تتضمنه، فيثبت ما يليق بالإله وينفي ما لا يليق به جلّ شأنه.

ومما لا يجب على الله تعالى ابتداء وانتهاء أن يوجدنا بعد أن لم نكن موجودين، فلو شاء الله تعالى أن لا يوجدنا مطلقا لما كان ذلك قبيحا في حقه، بل كان له

ذلك، ولو شاء الله تعالى ان يوجدنا على هيئة أخرى وصورة غير هذه الصورة التي نحن عليها، لما جاز لأحد أن يعترض عليه، ولو شاء الله تعالى أن يخلق كل واحد منا على صورة وخِلقة غير التي هو عليها، أحسن أو أقبح، لما جاز لأي أحد أن يعترض ويلوم أو يشكو، ولو شاء أن يعدمنا بعد أن خلقنا لما جاز لأحد أن يسأله شيئا، تأمل في قوله تعالى {لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }المائدة١٧، فهذه الآية صريحة في أن الله تعالى لو شاء أن يعدم المسيح بن مريم، وأمه ومن في الأرض جميعا، وذلك بعد أن خلقهم، لما جاز لأحد أن يعترض عليه، وعلة ذلك كله أنه مالك الملك يفعل في ملكه ما يشاء، له ملك السموات والأرض، وليس الملك المذكور هنا من باب ملك ملوك الدنيا، بل هو الملك الحقيقي[1]، فإن ملك ملوك الدنيا وضعي اتفاقي، وملك الله تعالى حقيقي بلا وضع واضع ولا اتفاق متفقين. وكذلك لو شاء الله تعالى أن لا يثيب أحدا ولا أن يعذب أحدا فإن هذا كله راجع إلى الله تعالى، فإنه تعالى يثيب بفضله، أي بلا سبق وجوب عليه، ويعذب بعدله، وقد شرحنا مفهوم العدل، سابقا، تأمل فيما قاله صاحب الجوهرة:

فإن يثبنا فبمحض الفضل ‏ ‏ ‏ ‏ وإن يعذّب فبمحض العدلِ

والفضل هو نعمة بلا سبق وجوب، ولو كانت بسبق الوجوب عليه لما كانت فضلا، فتأمل قول الله تعالى {لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ **يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً** وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ }الحشر٨، وقوله جل شأنه {**فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً** وَاللَّهُ عَلِيمٌ

(١) انظر لتعميق معنى **ملك الله تعالى** تفسيرَ اسمه الملك في شرح الأسماء الحسنى للإمام الغزالي، وللإمام الرازي، ولغيرهما من علماء أهل السنة.

حَكِيمٌ}الحجرات٨، {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً }الفتح٢٩، فإن نبينا عليه الصلاة والسلام ما يدخل الجنة وجوبا على الله تعالى، بل بفضل الله تعالى ومنه وكرمه، ولسابق وعده لا لسبق وجوب عليه جلّ شأنه.

وتأمل فيما أخرجه الإمام البخاري عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لن يدخل أحدا عمله الجنة) . قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال (**لا ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة**، فسددوا وقاربوا ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسنا فلعله أن يزداد خيرا وإما مسيئا فلعله أن يستعتب).

وهذا كله دالّ دلالة عظيمة على أن الثواب والعقاب ليس بواجب على الله تعالى، لأحد من الخلق، ولكنه فضل من الله تعالى بوعده للصالحين، اللهم اجعلنا منهم.

ولذلك قال علماء أهل السنة إن كل أفعال الله تعالى إيجادا وإعداما جائزة ليس شيء منها بواجب ولا ممتنع عليه جلّ شأنه، وهذا مقتضى الربوبية وما يليق بالألوهية، فتأمل فيما قال صاحب الجوهرة:

وقـــولهم إن الصـــلاح واجـــبُ عليه زورٌ، مـــا عليـــه واجـــبُ

ألم يـــروا إيلامَـــه الأطفـــالا وشـــبهها فحـــاذر المحـــالا

فلا يجب على الله تعالى أن يخلق فعلا من الأفعال أصلا، لا صلاح ولا أصلح لا في دنيا ولا في أخرى، ولكنه فضل من الله تعالى، يفعل ما يريد (إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ)هود١٠٧، لا لما يجب عليه، فمن زعم بأن هناك فعلا واجب على الله، فهذا القول زور باطل على الله، فخلق الألم في الأطفال، لا ينافي ربوبيته جل شأنه، ولا يستلزم الظلم عليه، فإن الله تعالى يجازي كل واحد بما صبر، ومن مات من الأطفال فكلهم من أهل الجنة بفضل الله تعالى، لا بعملهم، ولا بما لاقوه من الألم، فلا يجب على الله تعالى أن يعوِّض أحدا بثواب من عنده على ما لاقاه، ولكنه إن أنعم على أحد فبضله ومنه وكرمه.

وقد تبين بذلك كله أن هذه الأفعال كلها لا تستلزم الظلم، لأنه لا يجب على الله تعالى شيء لأحد من الخلق ابتداء، ولكنه وعد الله تعالى للصالحين، ووعيده للظالمين، فاحرص على الصلاح لتنال فضله.

ومما يتعلق بهذا المقام ما أَوْرَدَهُ بعض العلماء من بحث مسألة في غاية الأهمية، وهي خلق الله تعالى للضرر والنفع، هل يستلزم ذلك أن يكون الله تعالى شريرا ومسيئا، وهي مسألة يتعلق بها بعض المخالفين للدين الإسلامي من العلمانيين الذي يقولون، إذا كان الله تعالى كاملا فلم يخلق الضرر ولم يخلق هذا العالم الناقص، أليس بالإمكان خلق العالم منزها عن الشرور والنقائص؟

ومع أن الجواب قد اتضح بما ذكرناه في هذا الجواب، إلا أنا نزيد هذا الأمر بيانا، فنقول: لو أن هؤلاء تنبهوا إلى ما ذكرناه من عدم وجوب فعل من الأفعال على الله تعالى، وأن إيجاب أمر على الله تعالى يستلزم النقص عليه تعالى، والإله لا يكون ناقصا، لما تكلموا بنحو هذه الاعتراضات، ولا تشبثوا بمثل تلك الخيالات. فالله تعالى جعل هذه الدار دار امتحان، ودار الامتحان لا تكون كاملة، ولا خالية

عن التعب والمشقة، ولو أرادها دار مقام لفعل، فإنه قادر على أن يخلق البشر جميعا في الجنة لو شاء، أو في النار لو أراد، ولكنه جل شأنه اختار هذا النحو من العالم، ولا يسأل عما يفعل، ولا يتعارض هذا مع الحكمة، ولا يستلزم أن يكون شريرا أو ينافي بفعله العدل، فلا مجال لنسبة الشر إلى مقام الألوهية.

وكأن هؤلاء المعترضين يقولون: لا نؤمن بالله إلا إذا خلقنا كما نريد نحن، لا كما يريد هو، وإلا إذا فعل لنا ما نريد نحن لا ما يشاء هو، وهذا لا يقول به عاقل في حق الإله؛ فإنه تحجير عليه، بل لا يصدر إلا عن منكر لأصل الألوهية، أما من يسلم بها، فلا يرد على ذهنه هذا السؤال أصلا، ولذلك فإن من زعم أن هناك بعض الأفعال واجبة على الله تعالى من المسلمين فإنهم قد خرجوا بهذا القول عن الصواب، وابتعدوا عن فكر ذوي الألباب، والتزموا قبائح لا تليق برب الأرباب. فلذلك نفر عن قولهم العقلاء، وابتعد عن منهجهم أهل البحث النظر؛ فإن قولهم هذا، يتناقض مع بعض الأصول الإيمانية، ولا يتم لهم الاعتقاد السليم المتوافق مع الكتاب المنزل من الرب الكريم.

وندعو الله تعالى أن يكون في هذا الجواب فائدة، وأن يوفقنا إلى الاهتداء إلى الصواب بمنه وكرمه. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم اجعلنا منهم . آمين آمين.

كتبه الفقير إلى الله تعالى

سعيد فودة

وليس لنا إلى غير الله تعالى حاجة ولا مذهب

كتبتُ هذا الجواب في ليلة الجمعة اليوم التاسع عشر من رمضان الخير عام ١٤٢٩هـ